

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 02 - سورة الحجرات - تفسير الآياتان 2 - 3

04-03-1996

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ فَاِنَّهَا مِنْ تَقْوٰى الْقُلُوْبِ (32)﴾

[سورة الحج]

سيدنا زيد الخير حينما أسلم، أخذته النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته تكريماً له، أعطاه وسادة ليبتكأ عليها ؛ فقال: والله يا رسول الله لا أتكى في حضرتك ! إذا هذا الصحابي عرف قيمة النبي عليه الصلاة والسلام في حضرتيه.

سهيل بن عمرو حينما وقع مع النبي عليه الصلاة والسلام صلح الخديبية رفض أن يكتب فيما تعاهد عليه محمد بن عبد الله رسول الله ! قال: أمحوا رسول الله، أما حينما أسلم كان يتمنى ان يفدي النبي عليه الصلاة والسلام بروجه ! موقفه قبل الإسلام غير موقفه بعده.

وهذا سرقة من أجل مائة ناقة أراد أن يقتل النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يقتل النبي عليه الصلاة والسلام ! فلما أسلم أيقن أن نوق الدنيا كلها لا تعدل ظفر النبي عليه الصلاة والسلام فأنت يمكن أن تقيس إيمانك بقدر ما تُعظم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكتاب الله، ورسول الله، وبيت الله، ودين الله، وشرعه، ومنهجه، وكذا المؤمنين، فقد تجد من المؤمنين من هم فقراء لا يملكون شيئاً، فأنت تحترم هذا المؤمن وكأنه إنسان عظيم، لذا يمكن أن يكون مقياس تعظيم شعائر الله هو مقياس لإيمانك. يقول الله عز وجل

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

أخذ كبار العلماء كان لا يرفعُ صوتهُ أمامَ دُرْسِ حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وكان يتوضأُ ويرتدي أجملَ ثيابه، ويُحدِّثُ بِحَدِيثِ رسولِ الله، ولا يسمَحُ لأحدٍ أن يرفعَ صوتهُ في مجلسِ حديثِ رسولِ الله، وأنا أسوق لكم هذه الأمثلة من أجل أن نستنبط حقيفةً واجدةً، وهي بقدر ما تُعظِّمُ الله ورسوله وكتابه، ودينه، والمؤمنين هو قدرُ إيمانك بالصَّبط، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)

[سورة الحجرات]

كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يطرقون باب النبي عليه الصلاة والسلام بأظافرهم، ولم يرفعوا صوتهم أمامه صلى الله عليه وسلم، وبعد موته تُعظِّمُ سيرته، وحديثه، وتوجيهه فلا نستهيئ بتوجيه النبي عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)

[سورة الحجرات]

لذا قال العلماء هناك كُفْرٌ قَوْلِي، وكُفْرٌ عَمَلِي، وكُفْرٌ اعْتِقَادِي، فإذا أمسك الإنسان بالمصحف ليُهيئَهُ فقد كُفِرَ ؛ هذا كُفْرٌ عَمَلِي، وهناك كُفْرٌ اعْتِقَادِي وهو أن تعتقد مع الله إلهاً آخر، أو أن ترفض آيةً في كتاب الله، أو حديث رسول الله، والقول أن تنطق بالكفر، والسُّلوكي أن تفعل شيئاً فيه إهانةٌ لكتاب الله، لذا نهى العلماء عن أن تقول لإنسان اسمه يحيى: يا يحيى خذ الكتاب! لأنك تستخدم آيةً قرآنيةً لِعَرْضِ دُنْيَوِي، ونهوا على أن تقول لإنسان تريد أن تدفع: ادفع بالنبي هي أحسن ! فأنت تستخدم آيات القرآن الكريم لغير ما استُخدمت له.

أردتُ من هذه الأمثلة أن تقيس إيمانك بقدر ما تُعظِّمُ الله عز وجل ورسوله وكتابه وشعائره، قال تعالى:

((ومن يُعظِّمِ شعائرَ الله فإنَّها من تقوى القلوب..))

هناك إنسان يضع القرآن في غرفة نومِه بِمَكَانٍ غير لائق والأولى أن لا يكون في غرفة نومِه مصحف! وإن لم يكن لك إلا هذه الغرفة فضعه في مكانٍ عالٍ.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)﴾

[سورة الحجرات]

هناك مواقف في السيرة مُذهلة، قال له: أيُّهما أكبر ؟ أنت أم رسول الله ؟ سيّدنا العباس، فقال له: هو أكبر مِنِّي، وأنا وُلِدْتُ قبلَهُ !

تعظيمُ رسول الله وتَعْظِيمُ سُنَّتِهِ من بعده، وتعظيم كتاب الله، وتعظيم الذين ينقلون هذا العَلم، هذا جزءٌ من دينك، فلو وقفت بالسيارة لإنسان يرتدي جبّة في الطريق، فأنت عظمت هذا الأخ لأنّه يرتدي لباس رسول الله، فكلّ مَنْ يُساهم في تكريم مَنْ يرتدي الرّي الإسلامي ؛ هذا عمل رفيع يقول عليه الصلاة والسلام: إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم... " فالإنسان يحرصُ على الدّين حينما يُكرّم أهل الحق، هذا بعد وفاة رسول الله، فهو لاء ينيبون عنه في إبلاغ الناس الحق، أما في حياة النّبي فما استطاع أصحابه أن يصفوه، لأنّهم ما دَفَقُوا في وَجْهه من شِدّة حيايهم منه وخجلهم، ومن شِدّة وقاره صلى الله عليه وسلّم.

فالمرأة مساحة دينها مُتعلّقة بلباسها، فكُلّما كانت ثيابها مستورة كُلّما كان دينها أقوى، فكُلّما كانت ثيابها ساترةً وفضفاضةً، ودينُ الرجل يُقاسُ بتَعْظيمه لأمر الله عز وجل، فأحياناً تجدُ أشخاصاً يرفعون أصواتهم في المساجد، هذا بيتُ الله، ويرفع صَوْتَهُ، فهذا النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو سيّدُ الخلق وحبیب الحق ما رُيَ مادّاً رجليه أمام الأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وهو سيّدُهم. فهذه الآيات دَكرتها ما أريدُ منها التّفاصيل، ولكن أريدُ جَورها، والآية واضحة، قال تعالى

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)﴾

[سورة الحج]

والله أدكر أنّي كنتُ بَمكان، فرأيتُ أحدهم يأخذ لُبّ الخُبز فيمسحُ به جِذاءهُ ! والله تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)﴾

[سورة البروج]

وهذا ورقٌ فيه آيات يرميه بسَلّة المُهملات !!

مُلخَصُ الدرس، وهو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

هناك أشخاص يُصَلُّون بِقَمِيصٍ داخلي ! الإنسان يقف بين يدي الله، أنت تستحي أن تقف أمام إنسان بهذا القميص، فكيف بالله عز وجل؟! ولقد كان الصحابة الكرام إذا صلُّوا قيام الليل يلبسون أجمل ثيابهم ويتعطرون ويغتسلون، ويصَلُّون، فكلُّما عظمت شعائر الله كلما كان إيمانك أكبر، وهذا الذي يرفع صوته فوق صوت النبي حبط عمله، قد يقول أحدهم: لا حياء في الدين!! هذه آية أم حديث بل الدين كله حياء، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) ﴾

[سورة المعارج]

تعلم من كلام الله الأدب، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا (43) ﴾

[سورة المائدة]

وقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَعَشَاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَنْ أَسْأَلَنِي صَالِحًا لَنْ كُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ (189) ﴾

[سورة الأعراف]

فهذه الحالات بأسمائها وتفصيلها يتنافى مع أصول الدين، قال لها عليه الصلاة والسلام: يا بُنَيَّتِي إِنَّ هَذِهِ الثِّيَابَ تَصِفُ حَجْمَ عِظَامِكَ... "أدبٌ جم"، وقال عليه الصلاة والسلام: أدبني ربِّي فأحسن تأديبي... "ففرقٌ كبير بين مؤمن مُنضبط في حركاته وسكناته وبين آخر لا يعرف من الانضباط إلا اسمه. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعُضُّونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) ﴾

[سورة الحجرات]

فهذا أبو بكر رضي الله عنه كان يمشي مرّة أمام النبي، ومرّة من خلف ومرّة من اليمين، وأخرى عن يساره، فيقول له عليه الصلاة والسلام: ما هذا يا أبا بكر؟ فيقول: والله ما أخاف على نفسي، ولكن أخاف عليك!! وهذا الذي يقول عنه صلى الله عليه وسلّم: ما ساء ني قط!! وهناك أعرابي مسك النبي من ثوبه، وقال له: اعدل فإن هذا المال ليس مالك ولا مال أبيك! فالإنسان عليه أن يقيس إيمانه بقدر تعظيمه

لأمر الله، فأنت إن رأيت الكعبة هناك دُعاء، وإيّاك ورفع الصّوت، فعَدَمَ رفع الصوت من شعائر الله، وكان النبي يغضب أشدّ الغضب إذا استُخدم المسجد لِعَرْض الدنيا.
فنحن علينا أن نتبّع النبي عليه الصلاة والسلام وقد توفّي، ونستنُّ بسنّته وهذا الذي يُرضيه بعد موته صلى الله عليه وسلّم، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (33)

[سورة الأنفال]

مادام سنّته صلى الله عليه وسلّم فينا فلن يُعذّبنا الله تعالى إن شاء الله وقد قال عليه الصلاة والسلام: إن من إجلال الله إكرام ذي الشبيبة المؤمن... " وقال عليه الصلاة والسلام: ليس منّا من لم يُوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا... " والإنسان يزقى بالأفعال الطيّبة.

كان عليه الصلاة والسلام لا يُواجه أحدًا بما يكرهه، فكان يقول: ما بال أقوام ! سمعتُ عن قاضي دخلتُ عليه امرأة ذاتُ صحّة جيّدة، وهي تصعد الدّرج خرج منها صوتٌ فاحمرّ وجهها، وقالت لأختها: سمعنا القاضي: فوصلتُ إليه: فقال لها: ما اسمُكِ يا أختي ؟ فقالت: فلانة، فقال لها: ما سمعتُكِ ! فأعادتُ عليه، وهو يقول: ما سمعتُكِ، فقالت لأختها: أرايتِ، الحمد لله لم يسمّعنا! وسيّدنا أنس خدم النبي عليه الصلاة والسلام السّنين فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلّم لم فعلتَ كذا، أو لم لم تفعل كذا ؟ فهناك مواقف على المؤمن أن يُحسن الأدب فيها.